



خطبة صلاة الجمعة 6 / 5 / 2022 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالك

(خاتمة سلسلة أخلاق النبي ﷺ وكيف نتحلى بها)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].
أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنْ أَحْسَنِكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا».
وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» وفي رواية البزار «مكارم الأخلاق».

هذه الخطبة الحادية والثلاثون في سلسلة: (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف نتحلى بها)، وهي الخطبة الخاتمة، وفيها النتيجة العملية لهذه السلسلة.
تحدثت خطب السلسلة عن الصدق عند النبي صلى الله عليه وسلم والأمانة وتحمل المسؤولية وعزة النفس والتوود للآخرين ومحبتهم وحسن التدبير والحياء والصبر والرحمة والسماحة وعلو الهمة والوفاء والحلم وحب العطاء والسخاء، وتكلمت عن احترام الآخرين وعونهم ونفعهم وعن الإعراض عن

الجاهلين وقبول الاعتذار وسلامة الصدر وبر الوالدين والشفقة والتخلق بأخلاق القرآن والجود والإحسان والقناعة.

وكانت كل خطبة تذكر ثلاثة مواقف من السنة المطهرة وثلاثة مواقف من الواقع أو أكثر ثم تختم بكيف تتحلى بذلك الخلق.

وقد جمعت لكم في خطبة اليوم المشترك في التحلي بالأخلاق الفاضلة والتخلي عن المذمومة فكانت خمسة: العلم والذكر والصحبة والمجاهدة والدعاء.

فإذا أردت أن تتحلى بالأخلاق الحميدة وتتخلى عن الذميمة فعليك بخمسة: العلم والذكر والصحبة والمجاهدة والدعاء.

- أما العلم: فهو مُظهِرٌ لفضل الأخلاق الحسنة ومناقبها، وشوْم الأخلاق الذميمة ومثالبها.

يحدّثك عن ثواب الصدق والصبر والحلم والأمانة وأشباهاها، وعن سوء عاقبة الكذب والخيانة والكبر والفاحشة والعقوق وأضرابها، ويخبرك علم التاريخ عن أمم سادت ثم بادت لما ساءت أخلاقها، وعن حضارات سقطت أو تداعت لما فسدت خصال أبنائها، يقول المؤرخ الأمريكي ((دراير)) كما نقله عنه أبو الحسن الندوي: (لما بلغت الدولة الرومية في القوة الحربية والنفوذ السياسي أوجها، ووصلت في الحضارة إلى أقصى الدرجات هبطت في فساد الأخلاق وفي الانحطاط في الدين والتهذيب إلى أسفل الدرجات، بטר الرومان معيشتهم وأخلدوا إلى الأرض واستهتروا استهتاراً، وكان مبدؤهم أن الحياة إنما هي فرصة للتمتع، ينتقل فيها الإنسان من نعيم إلى ترف ومن هو إلى لذة، وكان العدل يباع ويساوم عليه مثل السلع، وكانت الرشوة والخيانة تنالان من الأمة التشجيع، وقد أدرك هؤلاء الفاتحون الذين دوخوا العالم أنه إن كان هنالك شيء يستحق العبادة فهو القوة) وكانت هذه الأخلاق مبشرات سقوط الدولة الرومانية.

ويقول أليكسس كارليل في كتابه النافع (الإنسان ذلك المجهول): (يظهر أن الحضارة العصرية لا تستطيع أن تنتج رجالاً يملكون الابتكار والذكاء والأخلاق، نحن في انحطاط في الأخلاق وفي العقول، وإن الأمم التي ازدهرت فيها الحضارة الصناعية وبلغت أوجها هي أضعف مما كانت، وهي تسير سيراً حثيثاً إلى الهمجية ولكنها لا تدرك ذلك).

فالعلم فهو مُظهِرٌ لفضل الأخلاق الحسنة ومناقبها، وشؤم الأخلاق الذميمة ومثالبها، ومن أراد الترقى في الخلق فليزدد من العلم النافع.

- وأما الذكر وأثره في رقي الأخلاق فإن الذاكر جليس الله، قال تعالى في الحديث القدسي: (أنا جليس من ذكرني) ومن جالس الملوك وصلت إليه عوائدهم وسرت فيه خصالهم، فكيف بمن جالس ملك الملوك!

إن رحمة الله ولطفه وجوده وكرمه وحلمه ووده وستره سترخي بأنوارها على الذاكرين وتسري في ضمائرهم أخلاقاً وفي نفوسهم تهذيباً.

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45]، ومما جاء في تفسيرها: ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر، بل إذا تم الذكر: محق كل خطيئة ومعصية، فذكر الله يسمو بأخلاقك ويعلو بمخالك ويرفع معانيك.

- وأما الصحبة وأثرها في الأخلاق رفعةً واتضاعاً فإن ذلك من البدهيات المتواترات. فكم من حلیم سرى الحلم إليه من أقرانه، وكم من كريم انتقلت إليه عدوى الكرم من إخوانه، وكم من وفيٍّ تعلم الحلم من خلانه.

إن عدوى الروح إلى الروح أسرع من عدوى الجسد إلى الجسد، ولا يزال الطبع يسرق من الطبع، والمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119].

فصحبة أهل الخير تُرجى وتُطلبُ	وصاحبٌ تقيّاً عالماً تنتفع به
فقرُّهم يُعدي وذاك مُجربٌ	وإيّاك والفساق لا تصحبَنهم
يُعدي كما يُعدي الصحيحُ الأجر	واحذرْ مؤاخاةَ الدينيِّ فإنه
إنَّ القرينَ إلى المقارنِ يُنسبُ	واخترْ صديقك واصطفيه تفاخراً

- وأما مجاهدة النفس وأثره في الأخلاق، فإنَّ النفس إذا لم تذهب نحو مكارم الأخلاق طوعاً وجب حملها عليها قسراً، ولا زال كبار القوم يجاهدون نفوسهم فيرفعونها، ولا يتركونها مع هواها فيضعونها.

إنَّ الهوانَ هو الهوى فُصِّرَ اسمه
فإذا هويتَ فقد لقيتَ هواناً

قال تعالى في خاتمة سورة العنكبوت: **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)**
[العنكبوت: 69] وسورة العنكبوت مكية، ولم يكن ثمة قتالٌ عدو فكانت الآية في جهاد النفس وحملها على أوامر الشريعة ومكارمها.

-وأما الدعاء فأثره كبير في التحلي بمحاسن الأخلاق والتخلي عن مساوئها، وقد بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعية كثيرة في الطلب إلى الله تعالى أن يرزقنا الخلق الحسن.
روى ابن خزيمة في صحيحه عن علي رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو في صلاته: **«اللهم اهدي لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف سيئها إلا أنت»**.

وروى أبو داود في سننه عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الشقاق، والنفاق، وسوء الأخلاق»**.
وروى البيهقي في الشعب عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: **«اللهم أحسن خلقي فأحسن خلقي»**.

وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم بالله تعالى من الخيانة والكسل والبخل والجبن ومن نفس لا تشبع ومن الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق.
وهكذا جاءت الأخبار الكثرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسؤال ربه الخلق الحسن وبالاتعاذة من الخلق السيء.
وبعد أيها الإخوة:

هي خمسة هي خلاصة هذه السلسلة من الخطب: العلم والذكر والصحة والمجاهدة والدعاء.
فالزموها لنكون متأسين بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا فنكون قريبين إليه في الآخرة.

واعملوا بها لترقى أخلاقنا فترقى، ولنسعد أفراداً وأسراراً ومجتمعاً.
وأكثرُوا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه من صلى عليه صلى الله عليه ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً).

والحمد لله رب العالمين